﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ۝٤ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ۝٥ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ۝٦﴾ [التكوير: 3 - 6]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

وشائجُ القربى ولُحماتُ النَّسَب بين آي الذكر الحكيم وثيقة

لمّا بدأ النظم الكريم بذكر أعلام السماء؛ لأنَّها أشهرُ، وأعمُّ تخويفًا وترهيبًا، فذَكر منها الشمس والنجوم - وهما أشهر ما فيها وأعمُّها نفعًا - أتبعها ذِكرَ أعلام الأرض[1]، فذَكر تسيير الجبال على ضخامتها وثباتها، وتعطيل العشار على أهميتها في قيام الحياة، وتسجير البحار على توقّف مصالح العباد عليها، فقرَّر بذِكر الجميع عمومَ المخاطِر التي تَحدُث يومئذٍ من فوق وتحت، فجاء التناسُب جليًّا، والرِّباط قويًّا.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿سُيِّرَتۡ﴾: السَّيْرُ: المُضيُّ في الأرض، ورجل سائِرٌ، وسَيّارٌ، والسَّيّارَةُ: الجماعة، قال تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ﴾ [يوسف: 19]، يقال: سِرْتُ، وسِرْتُ بفلان، وسِرْتُهُ أيضًا، وسَيَّرْتُهُ على التَّكثير، فمن الأوّل قوله: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ﴾ [الحج: 46]، ومن الثاني قوله: ﴿وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ﴾ [القصص: 29]، ولم يجئ في القرآن القسم الثالث، وهو سِرْتُهُ، والرابع قوله: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ﴾ [النبأ: 20].

والتَّسْييرُ ضربان: أحدهما: بالأمر والاختيار والإرادة مِن السائر، نحو قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ﴾ [يونس: 22]. والثاني: بالقهر والتَّسخير كتسخير الجبال كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ﴾، وقوله: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ﴾ [النبأ: 20]، والسّيرَةُ: الحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره[2].

(1) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 21/ 276.
(2) الراغب، المفردات في غريب القرآن: (سير).

2) ﴿ٱلۡعِشَارُ﴾: يقال: عَشَرَ يَعشِر، عَشْرًا، فهو عاشِر، والمفعول مَعْشور، عَشَر الشَّيءَ: أخذ عُشْره، أي: جُزْءًا من عَشرة أجزاء متساوية، وعشَر القومَ: صار عاشرهم، كمَّلَهم بنفسه عَشَرة، وتعاشرَ يتعاشر تعاشُرًا، فهو مُتعاشِر، تعاشر الأحبَّةُ: تخالطوا، وتصاحبوا، وتعاملوا مع بعضهم البعض.

وعشَّرَ يعشِّر تعشيرًا، فهو مُعَشِّر، والمفعول مُعَشَّر (للمتعدّي)، عشَّرتِ النّاقةُ: صارت عُشَراء، أي: يمرّ على حملها عشرة أشُهر، وعُشَراءُ مفرد: جَمْعُه عُشَراوات وعِشار، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ﴾، وتعطيلها: إهمالُها لانشغال أهلِها بأنفُسهم[1].

3) ﴿عُطِّلَتۡ﴾: (عطل) أصلٌ صحيح واحد، يدلّ على خُلوٍّ وفراغ، نقول: عُطِّلَت الدار، ودارٌ معطَّلة، ومتى تُرِكَت الإبل بلا راع؛ فقد عُطِّلَتْ، وكذلك البِئر؛ إذا لم تورَد، ولم يُسْتَقَ منها، قال الله ﷻ: ﴿وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ﴾ [الحج: 45]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ﴾، وكل شيء خلا من حافظٍ فقد عُطِّل، من ذلك تعطيل الثغور وما أشبهها[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

أهـوال القيامة محقَّقةٌ - حين يحين أجلها - ومـن أحداثها عُلويَّةٌ وأرضيَّة

مِن مقدّمات البعث، وحلول أهوال يوم القيامة المحقَّقةِ الوقوعِ - حين يَحين أجلُها - اقتلاعُ الجبال مِن مغارِسها، وتفتُّتها وتَهَيُّلُها، وتَسْييرُها مِن مواضعها، وكذلك عدم اكتراث الناس بأغلى ما كانوا يحرصون على تملُّكه، والتماس المنفعة منه، فيَعتنون به - وهي العشار - فينشغلون عنها، ويتراجَعُ عندهم شأوُها بما حَلّ بهم مِن الأهوال، وتُعَطَّل، ويُهْمَل شأنها.

(1) عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة: (عشر).
(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: (عطل).

ومن المقدّمات المقطوع بوقوعها كذلك حَشْرُ الوحوش، و"جَمْعُ بعضها إلى بعض، وسَوْقها إلى أكنانها؛ إذ يدفعها البلاء إلى الفرار وطلب النجاة مما تراه من أحداث القيامة، فترتدّ عن مسارحها مسرِعةً إلى حيث ما تَظن عنده الاختفاءَ من الخطر المحدق بها، فتجيء من كل وجه، ويلوذ بعضها ببعض، حيث يَذهب الهول بكل ما فيها من نوازع الشر والعدوان"[1].

ومن تلك الأهوال المؤكَّدِ وقوعها كذلك تسجيرُ البحار وإيقادُ النيران فيها، فيجفّ ماؤها، وترتفع حرارة الأرض، ويشتدّ بالخَلْق الكربُ... وعند حلول كل ذلك تقوم القيامة، وتَعلم كلُّ نفْس ما أحضرت وما قدّمت لنفسها من الأعمال الصالحة وغير الصالحة.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

معنى (الواو) في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾:

(الواو) في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ عاطفةٌ هذا الشرط على الشرط السابق عليه، جامعةٌ هذه الشروط الاثني عشر شرطًا؛ لتُكوِّن بمجموعها قيودًا مؤذِنة بانقلاب نواميس الكون المنظور للبشر انقلابًا تامًّا، قاطعةً باختلال نظامه اختلالًا لا عودة له إلى حاله الأولى بَعده؛ تمهيدًا للبعث وقيام الناس لرب العالمين، فيَقضي بينهم، ويوفّيهم أعمالهم، ويَحكُم لكلٍّ منهم بالمصير المؤبَّد؛ إمّا إلى الجنان وإمّا إلى النيران.

لِقيام الساعة وبَعْث الناس مقدماتٌ عديدة ومَهولة

معنى (ال) في ﴿ٱلْجِبَالُ﴾، ولطيفة جمعها:

(الـ) في ﴿ٱلْجِبَالُ﴾ للعهد الذهني، وفيها معنى الجنسيّة والاستغراق، أي: هي تلك ﴿ٱلْجِبَالُ﴾ العظيمة الثابتة الشامخة، التي عهِدتُم عظمتها وثباتها وشموخها، وهي كلُّ الجبال؛ حتى لا يبقى على الأرض مرتفعات، وحتى ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ۝١٠٧﴾ [طه: 107].

زوال الجبال إبّانَ قيام الساعة أدلُّ على زوال ما دونها من المخلوقات الأرضيّة

(1) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 16/ 1468.

و﴿ٱلۡجِبَالُ﴾ "أصْلَبُ ما في الأرض"[1]، فإذا زالت عن مواضعها، وأُهيلَتْ، وسُيِّرت - كان زوال ما دونها أيسرَ وأولى - ولطيفة جمع ﴿ٱلۡجِبَالُ﴾ تأكيد عموم الحُكْم بتسيير عمومها، بدلالة الاستغراق والجنس، والله تعالى أعلم.

دلالة التعبير بالتسيير في جملة ﴿سُيِّرَتۡ﴾:

في التعبير بالتسيير في جملة: ﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ﴾ دلالة على أنَّها "ذَهَبَتْ عن أماكنها، قال مقاتل: فسوّيتْ بالأرض كما خُلِقَتْ أوَّلَ مرّة، وليس عليها جَبَل، ولا فيها وادٍ"[2]، وذلك "من أثر الرجفة والزلزال الذي قطّع أوصالها"[3]، قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ﴾ [النمل: 88].

تُسيَّر الجبال، ثم تُصيَّر كثيبًا مهيلًا، ثمَّ كالعِهن المنفوش، ثمَّ هباءً منثورًا

وهي "إذا قُلِعَتْ؛ تَكثَّرَتْ، حتى لا يتبيَّنَ للناظر سَيرُها لِكثرتها، فيَحسبها جامدةً، وهي تَسير، فهذا أول تَغيُّر يَظهر منها، ثم تصير كثيبًا مهيلًا، ثم كالعِهن المنفوش، ثم هباءً منثورًا إلى أنْ تتلاشى، وتَتْلَف"[4]، فتكون الأرض "قاعًا صفصفًا لا عوج فيها؛ لأن ذلك اليوم لا يُقبَل العوج في شيء من الأشياء بوجه"[5].

لطيفة بناء الفعل ﴿سُيِّرَتۡ﴾ للمفعول:

بناء الفعل ﴿سُيِّرَتۡ﴾ للمفعول في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ﴾ لطائف دقيقة، منها العلم بالفاعل، وأنَّه الله تعالى بفعله (كُنْ)، أو أمر المَلَك بذلك، ومنها "الدلالة على عظمة القدرة"[6] المسيّرة، ومنها توفير عناية المخاطَبين على التأثُّر بمخاطر الفِعل في ذاته بغضّ النظر عن التعلُّق بفاعلٍ معيَّن.

من لطائف حذف الفاعل العلمُ به، والتَّنبيهُ إلى خطورة الفعل في ذاته

(1) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 21/ 276.
(2) الماوردي، النكت والعيون: 6/ 212.
(3) القاسمي، محاسن التأويل: 9/ 412.
(4) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 10/ 430.
(5) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 21/ 277.
(6) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 21/ 277.

نوع الصورة البيانية في قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾:

قدرة الله تعالى مطلقة، وكلُّ فعل عظيمٍ إزاءها يسير؛ لأنَّه بالأمر (كن)

في وصف تحريك ﴿ٱلْجِبَالُ﴾ من مواضعها بالتسيير، في قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ استعارةٌ مكنية، وذلك بتشبيه ﴿ٱلْجِبَالُ﴾ على ضخامتها ورزانتها بالمخلوقات الصغيرة التي تُسيَّر باقتدار ويُسْر.

وبلاغة تلك الصورة بيانُ ضآلة ﴿ٱلْجِبَالُ﴾ أمام القدرة الإلهية المطلقة، وأنَّ اقتلاع ﴿ٱلْجِبَالُ﴾ وتَهْييلها وتحريكها في الفضاء بالنسبة لقدرة الله تعالى أمرٌ يسير لا كُلفة فيه؛ لأنه تعالى: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ [آل عمران: 47]، و﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: 82].

ويجوز أن تكون استعارةً تصريحيَّةً تبعيَّةً؛ "لأنَّ السير حقيقة في الذهاب في الأرض والمضيِّ فيها، فاستُعير لإعدام الجبال وإزالتها عن مكانتها"[1].

دلالة التعبير بـ ﴿ٱلْعِشَارُ﴾، ونكتة تخصيصها بالذِّكْر:

فظاعة أحداث النهاية المحدقة بالناس تشغلهم عن أثْمَنِ ما يتطلعون إليه

العشارُ جمعُ عُشَراءَ، وهي التي قد أتَى عليها عشرة أشهرٍ من حملِها، وهي الحواملُ التي يَتنافسُ أهلُها فيها، وخُصِّصت ﴿ٱلْعِشَارُ﴾ بالذِّكْر؛ لنفاستها عند العرب في ذلك الزمان، و"هي أحبُّ أموال العرب إليهم وأنفسُها عندهم؛ لأنَّها تجمع اللحم والظهر واللبن والوبر"[2]، فـ "أكثر عيشهم من الإبل"[3].

أو المقصود بـ ﴿ٱلْعِشَارُ﴾ السحابُ تُعطَّل، فلا تُمْطِر[4]، والعرب تشبِّهها بالحامل، ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾﴾ [الذاريات: 2][5]، وعلى ذلك يشير وصف ﴿ٱلْعِشَارُ﴾ إلى متطلَّع أنظار العرب

(1) الهرري، تفسير حدائق الروح والريحان: 31/ 186.
(2) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 21/ 277.
(3) الواحدي، التفسير الوسيط: 4/ 428.
(4) الماوردي، النكت والعيون: 6/ 212.
(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 9/ 115.

أرضيًّا: وهي النياق الحوامل، وعُلويًّا: وهي السُّحُب الحاملة الماء وأسباب الخير والنماء، وتعطيل ذاك وذلك دليل شدة الهول، وفظاعة الأحداث المحدقة بالناس يومئذٍ.

دلالة التعبير بالتعطيل في جملة: ﴿عُطِّلَتْ﴾:

المقصود بالتعطيل في جملة: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾، أي: أهمَلَها أهلُها، فلم تُحلَبْ، ولم تُصَرَّ، وسُيِّبَت، وتُرِكَت، فلا راعيَ لها[1]، وأنَّ أربابها يُعطِّلونها في ذلك اليوم، ولا يلتفتون إليها؛ لشغلهم بأنفسهم في ذلك، وهو كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ [الحج: 2]، إلى قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ [الحج: 2] الآية[2]، أو تعطيلها "إلقاءُ ما في بطونها من أجنَّة، ثم عدم تعرُّضها للحمل؛ إذ يصرفها الهول عن الاستجابة لداعي الغريزة الطبيعية فيها"[3]، وعلى كلا المعنيين فالإخبار عن العشار بالتعطيل إلماح إلى عدم الاكتراث بجمالها وزينتها، وصرف الاهتمام إلى المخاطر الأهم في ذلك اليوم.

حلول المهالك يشغل الناس عن مظاهر الزينة إلى معالجتها

بلاغة الكناية في ذِكر ﴿ٱلْعِشَارُ﴾، وتخصيصها بهذا الوصف:

في الإخبار بتعطيل ﴿ٱلْعِشَارُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ وإهمال شأنها كناية عن هول ما يعتري الناس من أحداث النهاية؛ لأنها أهم مراكبهم وأقواها، وأقدرها على السفر؛ حتى وصفوها بسفينة الصحراء، فلا يكاد يُتصوَّر في ﴿ٱلْعِشَارُ﴾ التعطيلُ والإهمال؛ لتوقُّف مسيرة الحياة على استخدامها والعناية بشأنها، قال الحسن: "ولم يكنْ في الدنيا مال أعجب إليهم منها"[4]، فتعطيلها تعطيل للحياة، و"كانوا يحبسونها؛ إذا بلغت هذه الحالة، ويعطلون

مسيرة الحياة الأولى كانت متوقفة على العناية بالعشار، فتعطيلها تعطيل للحياة

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 134.
(2) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 10/ 431.
(3) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 16/ 1468.
(4) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 135.

ما دونها"[1]؛ اهتمامًا بشأنها، وحرصًا على سلامة نتاجها، فتعطيلها "كناية عن ترك الناس أعمالهم لشدة الهول"[2]، واشتغالهم بكربهم وهولهم في ذلك اليوم.

غرض بناء الفعل ﴿عُطِّلَتْ﴾ للمفعول:

الحذفُ للعلم بالمحذوف، والتنبيه إلى دقيقة معنوية

في بناء الفعل ﴿عُطِّلَتْ﴾ للمفعول في جملة: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ تفريغٌ للعبارة ممّا يُشغِل عن خطورة الكناية في الفعل نفسه، وذلك بارعٌ بَعْد العلم بالفاعل، وأنَّ معنى ﴿عُطِّلَتْ﴾، أي: "عطَّل الناسُ حينئذٍ نفائس أموالهم، التي كانوا يهتمّون لها، ويُراعونها في جميع الأوقات، فجاءهم ما يُذهِلُهم عنها، فنبَّه بـ ﴿ٱلْعِشَارُ﴾ - وهي النوق التي تَتْبعها أولادُها، وهي أنفس أموال العرب إذ ذاك عندهم - على ما هو في معناها من كل نفيس[3].

معنى (ال) في ﴿ٱلْوُحُوشُ﴾، وبلاغة الكناية فيها:

أهوال أحداث النهاية تُخيف ما كان قبلَها يُهاب، ولا يَهاب

(الـ) في ﴿ٱلْوُحُوشُ﴾ للعهد الذهني، أي: ﴿ٱلْوُحُوشُ﴾ التي يعرفها الناس في بواديهم، و﴿ٱلْوُحُوشُ﴾ "ما تَوَحَّشَ مِن دوابِّ البَرِّ"[4]، و"ليس في طبعه التأنُّس ببني آدم، والمراد به ما يَعُمُّ البهائم مطلقًا"[5].

ولطيفة اصطفاء وصف ﴿ٱلْوُحُوشُ﴾ دون غيره من أوصافها دَعْمٌ للغرض الكنائي فيها، وهو شدة هول أحداث النهاية، بحيث لا تطيقها ﴿ٱلْوُحُوشُ﴾، بل يَتملَّكُها الخوف، وهي المفترسة، التي تُهاب، ولا تَهاب.

دلالة التعبير بالحَشْر في جملة: ﴿حُشِرَتْ﴾:

هول أحداث النهاية يذهب بما في (الوحوش) مِن نوازع الشر والعدوان

المقصود بالحَشْر في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾، أي: ماتت، أو اختلَطتْ[6]، أو المقصود جَمْعُ بعضها إلى بعض،

(1) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 3/ 605.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 142.
(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 912.
(4) الشوكاني، فتح القدير: 5/ 470.
(5) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 255.
(6) أي: فصارت بين الناس، ينظر: الماوردي، النكت والعيون: 6/ 212.

وسوقها إلى أكنانها؛ إذ يدفعها البلاء إلى الفرار، وطَلَبِ النجاة مما تراه من أحداث القيامة، فترتدّ عن مسارحها مسرِعةً إلى حيث ما تَظن عنده الاختفاء من الخطر المحدق بها، فتجيء من كل وجه، ويلوذ بعضها ببعض؛ إذ يذهب الهول بكل ما فيها من نوازع الشر والعدوان[1].

أو أنَّ المقصود بالحشر في جملة ﴿حُشِرَتْ﴾: حشرت إلى القيامة للقضاء فيُقْتَصّ للجمّاء من القرناء[2]؛ إذ يُحييها الله تعالى بعد موتها فيَضَع الله تعالى فيها ما شاء؛ فيكون في هذا إخبار عن عِظَم هول ذلك اليوم حتى يؤثِّر الهولُ في الوحوشِ، والشمسِ، والقمر، والسماوات[3].

بلاغة الكناية في حشر الوحوش:

لشدة هول أحداثِ النهاية لا يعدو وحشٌ على آخر، بل يذهل عمّا في طبعه مِن الافتراس

في التعبير بحَشْر الوحوش كنايةٌ مُبينة عن أهوال مقدمات يومِ القيامة؛ إذ الوحوش - وهي ما هي قوّةً وشراسة على مواجهة الأخطار - تَفقِد شجاعتها حينئذٍ، ويتملكها الخوف والذعر، وهي التي "مِن طبْعها نُفْرَة بعضها عن بعض، فتتجمّع في مكان واحد لا يعدو شيء منها على الآخر من شدة الرعب، فهي ذاهلة عما في طبعها مِن الاعتداء والافتراس، وليس هذا الحشر الذي يحشر الناس به للحساب، بل هذا حشر في الدنيا، وهو المناسب لِما عُدّ معه من الأشراط، وروي معناه عن أبي بن كعب"[4].

و"هذه الحيوانات بعضها غذاء للبعض، ثم إنها في ذلك اليوم تجتمع، ولا يتعرض بعضها لبعض وما ذاك إلا لشدة هول ذلك

(1) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 16/ 1468.
(2) الماوردي، النكت والعيون: 6/ 213.
(3) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 10/ 431.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 143.

اليوم"[1]، و"لا يَستوحِش الوَحشُ من الناس، ولا الناسُ من الوحوش من شدّة الأهوال، وذلك أهولُ وأفزع وأخوف وأفظع"[2].

معنى (ال) في ﴿ٱلۡبِحَارُ﴾، ولطيفة صيغة الجمع:

النظمُ الكريم يوزِّع الصّيَغَ على المقامات الأنسب بكلٍّ منها

(الـ) في ﴿ٱلۡبِحَارُ﴾ لاستغراق جنس ما يعرفه الناس منها، وكذلك تفيد تعريف العهد الذهني؛ إذ يقع تَصوُّرُها في الأذهان حينما تُطلَق.

وقد آثر النظم الكريم التعبير بجمع ﴿ٱلۡبِحَارُ﴾ دون جمع (الأبحُر) لما يدلّ عليه الاستعمال القرآني هنا من الكثرة، التي تتّسق مع دلالة الجنسية في (الـ)، أمّا (أبحُر)؛ فجمعُ قِلّة، فلا يناسب مقتضى الحال ولا المقام الداعيين إلى المبالغة في بيان عموم تسجيرها.

دلالة التعبير بالتسجير في جملة: ﴿سُجِّرَتۡ﴾:

الفعل ﴿سُجِّرَتۡ﴾ من قولهم: سَجَّر التنورَ؛ إذا ملأه بالحطب، أي: مُلِئَتْ، وفُجِّر بعضها إلى بعض حتى تعود مجرًى واحدًا، وقيل: ملئت نيرانًا تضطرم لتعذيب أهل النار[3]، وحينئذٍ تَصير البحارُ والأرض شيئًا واحدًا في غاية الحرارة والإحراق[4]، وأُرسل عذْبُها على مالحها، ومالحُها على عَذْبها حتى امتلأت، أو فُجِّرَتْ، فصارت بحرًا واحدًا[5].

وعلى كلا القولين فإنَّ هذا الحدث من الأهوال العظيمة يوم القيامة؛ إذ تمتلئ البحار على كثرتها ووفرة مائها، فتفيض، أو تمتلئ نارًا محرقةً، وكفى بهذين المشهدين زاجرًا وواعظًا.

القراءات الواردة في: ﴿سُجِّرَتۡ﴾ وبلاغتها:

بلاغة التخفيف والتشديد في ألفاظ القراءات

قرأ ابن كثير والبصريّان بخلف عن رويس بتخفيف الجيمِ:

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 64.
(2) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 21/ 278.
(3) الزمخشري، الكشاف: 4/ 707.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 65.
(5) الماوردي، النكت والعيون: 6/ 213.

﴿سُجِرَتْ﴾، وقرأ الباقون بِتَشْدِيدِهَا: ﴿سُجِّرَتْ﴾[1]. فحجّة من قرأ بالتخفيف أنه على معنى إرادة وقوعه للقليل والكثير، ويدلُّ على قوة التخفيف: إجماعهم على قوله: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ [الطور: 6]، ولم يقل: (المسجَّر)، ومعنى ﴿ٱلْمَسْجُورِ﴾: الممتلئ، وقيل: الفارغ. وقرأ الباقون بالتشديد على معنى التكثير، لأنّها بحار كثيرة[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

التّسجير والتّسعير:

السجر الإحماء، والسعر التهييج

السجر من سَجَرْتُ التَّنّورَ أَسْجُرُهُ سَجْرًا؛ إذا أحمَيْتَه، والسَّجور: ما يُسْجَر به التَّنّورُ، والساجِرُ: الموضع الذي يأتي عليه السيل، فيملؤه[3]، والسَّجْرُ: تهييج النار، يقال: سَجَرْتُ التَّنّورَ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦﴾ [الطور: 6]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ أي: أضرم[4].

أمّا السعر؛ فمن قولنا: سَعَرْتُ النارَ والحربَ: هيَّجْتهما، وألهبْتهما، وقرئ: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾، وبالتخفيف (سُعِرَت) وبالتشديد ﴿سُعِّرَتْ﴾ أيضًا؛ للمبالغة، وسَعَرْناهُمْ بالنَبْلِ، أي: أحرقناهم، وأمضَضْناهم، والمِسْعَرُ والمِسْعارُ: الخشب الذي تُسْعَرُ به النار، ومنه قيل للرجل: إنَّه لمِسْعَرُ حربٍ، أي: تُحْمَى به الحربُ[5].

(1) ابن الجزري، النشر: 2/ 398.
(2) مكّي، الكشف: 2/ 363.
(3) الجوهري، الصحاح: (سجر).
(4) الراغب، المفردات في غريب القرآن: (سجر).
(5) الجوهري، الصحاح: (سعر).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والستون،
سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 66 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-45-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 66 : المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-45-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6448894 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"